﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

المصيرُ الأبديُّ المحتومُ للكافرين حين يَرون ما يوعَدون

بعدَ أنْ بيّن اللّهُ تعالى الجزاءَ الأبديَّ في النّار لمن يكفرُ باللّه ورسوله؛ أتبعَ بتهديدِ المشركين الذين كانوا أقصرَ نظرًا من الجنِّ في عدِم الإيمانِ بالهزيمة والمذلّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُوعَدُونَ﴾: أصلُ (وعد) كَلِمَةٌ صَحيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجيَةٍ بِقَوْلٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا، ويَكونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وشَرٍّ، فأمّا الوَعيدُ؛ فَلا يكونُ إلّا بِشَرٍّ[2]، والوَعْدُ: مَعْروف، وعدتُ الرجلَ أعِده وعْدًا حسنًا من مال وغَيره[3]، والوعدُ هنا بمعنى الوعيد، أي: ما يعدهم ربّهم من العذاب وقيام الساعة[4].

2) ﴿نَاصِرًا﴾: أصلُ (نصر) يَدُلُّ عَلَى إتيانِ خَيْرٍ وإيتائِهِ، ونَصَرَ اللّه المُسْلِمينَ: آتاهُمُ الظَّفَرَ عَلَى عَدوِّهِم، وانتَصَرَ: انتَقَمَ[5]، والنَّصرُ: الإمدادُ بما فيه زيادةٌ مناسِبةٌ وقوّة، والنَّصْرُ والنُّصْرة: حُسنُ المَعونة أو عَوْنُ المظلوم، ونَصَرَ الغَيْثُ البِلادَ: أرواها، والانتصارُ: الانتقامُ من الظّالم بعونِ المظلوم عليه، ونصرْتُه على عدوِّه ونصرْتُه منه نَصْرًا، أعنْتُه، وقوَّيْتُه[6]، وهو معنى ﴿نَاصِرًا﴾ في الآية.

(1) الزحيلي، التفسير المنير: 29/ 178.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة: (وعد).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 671.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).
(6) الخليل، العين، وابن سيده، المحكم، والفيومي، المصباح المنير، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نصر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تهديدُ المشركين بالهزيمة والمذلّة

يقولُ تعالى مهددًا المشركين - الذين كانوا أقصرَ نظرًا من الجنّ في عدم الإيمان - بالهزيمة والمذلّة: ما يزالُ المشركون من الجنّ والإنس على كفرهم، حتى إذا عاينوا ما يعدهُم ربهم من العذاب وقيام الساعة، فسيعلمون يومئذٍ من أضعفُ جندًا ينتصرُ به، وأقلُّ عددًا، أجندُ اللهِ الذي أشركوا به؟ أم هؤلاء المشركون به؟[1]، أي: بل المشركون لا ناصرَ لهم إطلاقًا، وهم أقلُّ عددًا من جنودِ الله تعالى[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التعبير بحرف الغاية بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾:

عداوةُ المشركين واستضعافهم للمؤمنين مستمرٌّ حتى العذاب الموعود

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ حرفُ ابتداء؛ إذْ يصلحُ أنْ يجيء بعدَها جملةُ الابتداءِ والخبرِ، ومعَ ذلكَ فيها معنى الغاية[3]، إمّا غايةٌ لقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، أي: يتظاهرون عليه بالعداوة، ويستضعفون أنصاره، ويستقلّون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة، فسيعلمونَ حينئذٍ أنَّهم أضعفُ ناصرًا وأقلُّ عددًا، أو غايةٌ لمحذوف يدلُّ عليه الحالُ من استضعافِ الكفارِ لأنصارِه ﷺ واستقلالِهم لعدده، كأنَّه قيلَ: لا يزالونَ على ما هُم عليهِ حتَّى إذا رَأوا ما يوعدون من فنون العذابِ في الآخرة، فَسَيَعْلَمونَ حينئذٍ مَنْ أَضْعَفُ ناصِرًا وأقَلُّ عَدَدًا[4].

معنى ﴿إِذَا﴾ وسر دخول ﴿حَتَّىٰٓ﴾ عليها:

وقوعُ الموعود بعد مُهلةٍ واختبارٍ واستدراجٍ إيحاءٌ بغرورِ المشركين

﴿إِذَا﴾ اسمُ زمان للمستقبل مضمَّنٌ معنى الشرط، وهي في محلّ نصبٍ بجوابِه الذي هو قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، وفي دخول ﴿حَتَّىٰٓ﴾

(1) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 671.
(2) الزحيلي، التفسير المنير: 29/ 178.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 249.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 632.

عليها إشارةٌ إلى تأخيرٍ زمني، أي: إنَّ هذا الموعود لنْ يقعَ فورًا، بل بعد مُهلةٍ واختبارٍ واستدراجٍ، وهذا يوحي بأنَّ المجرمين كانوا في غرورٍ وتكذيبٍ وعنادٍ، حتى جاءت تلك اللحظة الفاصلة، ويؤكّد ذلك التّعبيرُ بـ﴿إِذَا﴾ التي تدلّ على أنّ رؤيةَ الكافرين لِما يوعدون من العذاب متحقّقة الوقوع[1].

سرُّ التَّعبير بفعل الرؤيةِ مادة وصيغةً:

الرؤيةُ البصرية وتأكيدُ تحقُّق الوعيد في البيان القرآني

آثرَ البيانُ الحكيمُ التَّعبيرَ بالرؤيةِ دون العلم، في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾؛ لكونِ الرؤيةِ بصريةً، والمعنى: إذا عاينوا بأبصارهم ما يعدهم ربهم من العذاب[2]، وجاءتِ الرؤيةُ بصيغةِ الفعلِ الماضي؛ للتَّنبيهِ على تَحقيقِ وُقوعِ رؤية ما يوعدون به من العذاب[3]، وتصوير تحقُّق الوعيد.

مرجع الضمير ودلالته في: ﴿رَأَوْا﴾:

في الإضمار إيماءٌ باحتقارِ المشركين والإعراض عنهم

الضميرُ في ﴿رَأَوْا﴾ يعودُ على معلومٍ من السّياق، وهم المشركون الذين أنكروا الرسالة، وادّعوا القوةَ والكثرة، وادّعوا أنَّ النبي ﷺ وأتباعَه أقلّ ناصرًا وعددًا، ومِن ثَمَّ فلا حاجةَ لتكراره، وأيضًا فإنّ الإضمار يُلمحُ بالاحتقار والتقليل والإعراض عنهم.

دلالةُ التَّعبير بالموصول ﴿مَا﴾:

أهوالٌ عظيمةٌ بكثرتها وإبهامها تنتظرُ الكافرين

لمْ يقلْ سبحانه: حتى إذا رأوا العذاب، وإنما عبّر بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾؛ لأنّها مع الموصولية تفيدُ الإبهامَ المقصود، أي: شيئًا عظيمًا، مجهولًا في حقيقته، مروّعًا في أثره، كأنما ينتظرهم شيءٌ هائل لا يُسمّى، بل يُتركُ لتتخيله النفس، ولذا لم يعبّر بـ(الذي)؛ لأنّها تدلُّ على شيءٍ معروفٍ محدَّدٍ، لا يُحدثُ

(1) ابن نور الدين، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص: 84.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 498.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 246.

الأثرَ نفسه من التهويل، بالإضافة إلى أنّ (ما) أكثرُ عمومًا، فتدلُّ على أنواعٍ كثيرةٍ من العذاب أو الأهوال، وأكثرُ اختصارًا ومناسبةً للسّياقِ السَّريعِ المتلاحقِ في جوّ الوعيدِ والتّهديدِ.

دلالة بناء الفعل المضارع ﴿يُوعَدُونَ﴾ للمفعول:

تصويرٌ حيّ مستمرٌ للوعيد الإلهي وتعزيزٌ جوّ التهويل والتخويف فيه

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بصيغةِ المضارعِ المبني للمفعول في قوله تعالى: ﴿يُوعَدُونَ﴾؛ لتصوير مشهد العذاب بصورةٍ حيّةٍ مستمرّةٍ، وكأنّه حاضرٌ يُرى ويُنتظر، وقد أُضمر الفاعل - مع كونه معلومًا، وهو الله سبحانه للتركيز على مضمونِ الوعيد ذاته، وما يحمِلُهُ من أهوالٍ، لا على مَنْ يصدرُ عنه، وجاء ذلك تعزيزًا لجَوّ التهويل والتخويف، وتكثيفًا للانتباه نحو ما ينتظرهم من عذاب.

الغرض من حذفِ متعلّق ﴿يُوعَدُونَ﴾:

إبهامٌ يفيدُ تهويلَ العذاب الموعود، وعمومٌ يفيدُ كثرةَ أنواعه وصوره

التقديرُ في قوله تعالى: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: ما يوعدون به، ولكنّ البيانَ الحكيم حَذَفَ متعلّق الفعل؛ للإبهام المقصود الذي يفيدُ التهويل؛ إذ يجعلُ النفسَ تتصوّر أشدَّ صور العذاب والهلاك والفضيحة والخزي، دون تقييدها بوصف واحد، وللدلالة على العموم والشمول، والمعنى: حتى إذا رأوا كلّ ما وُعدوا به من العقاب الدنيوي من أيام الله، التي ملأتِ الأرضَ نورًا، وأهل الحقّ سرورًا وحبورًا، وأهل الباطل خسارًا وبورًا ورعبًا وهلاكًا وقبورًا، والعقاب الأخروي من أهوال يوم القيامة وعذابها[1].

دلالةُ التّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾:

حدوثُ علم الكافرين بإخفاقِ آمالهم فورَ تحقّق رؤية العذاب

الفاءُ في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حرفٌ لجوابِ الشرط، وتعبّر عن أنَّ جوابَ الشرط سيكون واقعًا حتميًّا بمجرَّد تحقّق الشرط، أي: إنَّ علمَ الكافرين بإخفاقِ آمالهم يحدثُ فورَ تحقّق رؤية ما يوعَدون.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 498.

سرُّ التَّعبير بالسّين في ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾:

تأكيد علم الكافرين بإخفاق آمالهم فَورَ وقت رُؤيةِ العذابِ

السّينُ في قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ للتَّأكيدِ المُجرَّدِ، لا للاستقبالِ بوصف السّينِ حرْف استقبالٍ، فعِلمُ الضَّعيفِ مِن القَويِّ يَحصُلُ فَورَ وقْت رُؤيةِ العذابِ، ولكنّ السينَ تَقْتضي أنَّه يَتأخَّرُ عنه، ولذا فهي للتأكيد هنا[1].

دلالةُ التَّعبير بالعلم في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ مادة وصيغة:

استحضارُ العلم بالخذلان في الذهنِ أشدُّ تأثيرًا على النفوس

مقتضى الكلام أن يُقال: حتى إذا رأوا ما يوعدون، فعلموا، ولكنّ البيانَ الحكيمَ عَدَلَ عن الماضي إلى المضارع، فقال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾؛ لأنّه أبلغُ في التَّهديد والتأثير، فإنّ الفعلَ المضارعَ يفيدُ استحضارَ الأمر في الذّهن؛ ليكونَ أشدَّ تأثيرًا على النفوس.

دلالة التَّعبير بـ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ أَضْعَفُ﴾:

بين الاستفهامية والموصولية في سياقِ الوعيد القرآني

﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ إمّا استفهاميةٌ مرفوعةٌ بالابتداءِ، و﴿أَضْعَفُ﴾ خبره، والجملةُ في موضعِ نصْبٍ سدّتْ مسدّ مفعولي العِلْم، والاستفهامُ بما فيه من الإبهامِ يَكونُ كِنايةً عن الغَرابةِ، بحيث يَسألُ النّاسُ عن تَعيينِ الشَّيءِ بعْدَ البحثِ عنه[2]، أو موصولةٌ في موضع نصبٍ بـ(سيعلمون)، و﴿أَضْعَفُ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، والجملة صلة لـ﴿مَنْ﴾، والمعنى: (فسيعلمون الذي هو أضْعَفُ ناصِرًا)، وحسَّنَ حذفُ المبتدأ طول الصلة بالمعمول، وهو ﴿نَاصِرًا﴾[3].

سرُّ إيثار لفظ الضعف دون غيره:

مبالغةٌ في بيانِ ضعْفِ الأنصار

اختارَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ (الضَّعْف) بدلًا مِنَ (الوهْن)؛ مبالغةً في بيانِ ضعف الأنصار؛ لأنّ الضَّعفَ أعمُّ وأشملُ في الدلالةِ؛ إذ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 249 - 250.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 246.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 251.

يشملُ كلَّ صورِ النقص أو القِلّة في القوّة، سواءٌ كانت بدنية أو نفسية أو معنوية، أو حتى في الدعم والتأييد، أما (الوهْن)؛ فيُستخدم غالبًا للدلالة على الضعف الجسدي، أو الضّعف الناتج عن الكِبَر أو المرض، وهو أضيقُ دلالة، ولم يُستعمل كذلك لفظ (القِلّة)، فلم يقل: (أقلّ ناصرًا)، وذلك لما بين (الضَّعْف) و(النَّصر) من نوعٍ من الطباق، يُعزّز السخرية والتهكُّم من حالهم؛ إذ كيف يُنتظرُ النصرُ ممّن هو ضعيف، بل أضعفُ من أنْ يُعين، أو يُنصر؟.

دلالة التعبير عن الضعف والقلّة بأفعل التفضيل:

لم يعبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظِ (ضعيف) أو (قليل)، في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، وإنّما اختارَ صيغتي التّفضيل: ﴿أَضْعَفُ﴾ و(أقلّ)؛ للدلالة على الموازنة بين طرفين، ولتأكيد الفارق الكبير بينهما في القوة والعدد بين الكافرين والمؤمنين، أمّا استعمال (ضعيف) أو (قليل)؛ فكان سيقتصر على مجرّد الوصف دون أنْ يبرز هذه المفاضلة، ولا يُظهر الانقلابَ في الموازين، الذي يلفتُ إليه السياق التهديدي والساخر من ظنون المشركين.

إبرازُ الفارقِ الكبيرِ بين الكافرين والمؤمنين في القوّة والعدد وتأكيده

سرّ إيثار لفظ الناصر دون غيره:

آثرَ القرآنُ التّعبيرَ بلفظِ (النّاصر) دون (المُعين)، فلم يقلْ: (منْ أضعف مُعينًا)؛ لأنَّ لفظَ (النّاصر) أوسعُ دلالةً وأشملُ معنى، فالنصرُ يشملُ الإمدادَ الذي يحتوي على زيادة مناسبة وقوّة، وهو أنسبُ للسياق الذي يتناولُ موقف مواجهة وصراع؛ إذ لا تكفي المعونة فقط، بل المطلوبُ هو الدفع والردّ والنصر الكامل.

ضعفُ أنصار الكافرين عن المعونة والدفع والردّ والنصر الكامل

بلاغة الجمع بين ضعف الناصر وقلّة العدد:

جمعَ البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ بين ضعفِ الناصر وقلّة العدد؛ ليُحكمَ التهوين من شأنِ المشركين من جهتين: جهةِ من يعتمدون عليهم (أنصارهم)، وجهة أنفسهم،

تهوينٌ من شأن المشركين بضعفِ أنصارهم وضعفِ أنفسهم

ففي ضعفِ الناصر إشارةٌ إلى وهنِ سندهم الخارجي، وفي قلّةِ العددِ دلالةٌ على هزالِ قواهم الذاتية[1]، وهذا التعبير المُحكم لا يحملُ فقط وعيدًا للمشركين بخيبة ما اغترّوا به من أمنهم وقوّتهم الظاهرة، بل يتضمّنُ وعدًا ضمنيًّا للمؤمنين بنصرٍ مؤزّر، يُقلبُ فيه ميزانُ القوّة الظاهري، فيظهر أنّ النصرَ لا يُقاس بعدد ولا بعدّة، وإنّما بتأييد الله.

نكتة تنكير لفظ ﴿عَدَدًا﴾:

في تأكيدِ شدّة القلّةِ تعزيزٌ لوقعِ التهديد في نفوس المخاطبين

جاءَ التَّعبيرُ بلفظِ ﴿عَدَدًا﴾ منكّرًا في سياقِ التَّفضيل بـ(أقل)؛ ليؤكّد شدّة القلّة، حتى ليُخيَّل أنّ هذا العدد لا يُعتدّ به أصلًا، فهو قليلٌ إلى حدّ التلاشي، فالآيةُ لا تكتفي بوصفهم بأنهم أقلّ، بل توحي بأنّ ما لديهم من عددٍ لا يُلتفتُ إليه لفرطِ ضعفه، وجاء هذا التنكير أيضًا تحقيقًا للانسجام الصوتي والجمالي في ختام الآية، وتناسقًا مع ما عُطف عليه من عناصرِ التهوين في الآية نفسها، ممّا يُعزّز وقعَ التهديدِ والوعيد في نفوس المخاطَبين.

سرُّ التّعبير بقوله: ﴿عَدَدًا﴾:

فخرُ المشركين بكثرتهم وهمٌ لا وزنَ له

اختارُ البيانُ القرآنيُّ التعبيرَ بلفظ ﴿عَدَدًا﴾ بدلًا من (عُدّة)؛ مراعاةً لمقام التهديد، الذي يواجه فيه القرآن فخرَ المشركين وتباهيهم بالكثرة العددية، فقد كانوا يرون في كثرتهم ضمانًا للنصر، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ [سبأ: 35]، وقال أيضًا: ﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ۝٤٤﴾ [القمر: 44]، فجاء التعبير بـ﴿عَدَدًا﴾؛ ليضربهم في موطنِ زهوهم، ويُفهمهم أنّ هذه الكثرة التي بها يفتخرون، ليستْ إلا وهْمًا لا وزنَ له، بل هي أقلُّ مما يظنّون، وأهونُ من أنْ تُحدثَ أثرًا، وهذا الاختيارُ يُعزّز الأثرَ البلاغي للآية؛ إذ ينقلبُ فخرهم عارًا، ويُحوَّل اعتدادهم بالكثرة إلى مصدر إذلالٍ وسخرية.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 246.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"